



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية مجلة فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية - فصلية - محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد: ١٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

محتويات العدد ١٧

رقم الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
١	د. احمد عبد الستار م.م. حقي اسماعيل فياض	علم المناسبة بين آيات القرآن
٣٧	د. احمد جلوب	القنوط في القرآن
٧٩	د. زياد علي دايع	من مصطلحات التنظيم الاجتماعي
١٣٧	د. ضياء محمد محمود	الوسائل التي استخدمها النبي في تعليم الصحابة
٢٢٢	د. عبد الرحمن احمد د. قصي سعيد احمد	موقف الشرع من التماثيل والنصب التاريخية
٢٧٧	د. اسماعيل ابا بكر د. مصطفى محمد امين	حق تاديب الزوج لزوجته
٣١٣	د. علي حسين جاسم	مصنفو الفقه الحنبلي
٣٧٢	د. احسان لطيف احمد	الكرامة في كتب العقيدة
٤٢١	د. عبد هادي فريح	الطبقية واثرها على المجتمع
٤٦٥	د. عبد العادي محمد عباس م.م. احمد طارق حمودي	الدروس المستخلصة من شخصية صلاح الدين الايوبي وسياسته
٤٩٨	د. محمد جاسم عبد الساطوري	ردود العيني النحوية على ابن مالك في كتابه عمدة القارى
٥٣٩	د. نافع سلمان جاسم	دلالة الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد في ديوان الشافعي
٥٩٤	د. محمد خالد رحال	الزمن في ما ومهما الشرطيتين
٦٢٢	م.م. عبد الرزاق علي حسين	الا التي للتمني بين سيبويه والنحاة
٦٤٦	د. عدنان اسم محمد	روية اسلوبية للاعتراض في الخطابا لقراني
٦٨٥	م.م. زيدون فاضل عبد	اصول بنية ضمائر الرفع دراسة لغوية
٧٣٤	د. احمد حميد كريم العزاوي	شاعرات عراقيات منسيات
٧٨٧	م.م. ايناس عبد الرحمن	مستوحى الشعراء في ظل الدولتين الزنكية والايوبية

رودو العيني النحوية على ابن مالك في
كتاب عمدة القاري
د. محود جاسم عبد الساطوري

المُقدِّمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد
الأولين والآخريين ، محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابه
الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعدُ ...

فمن عظيم الله تعالى ومثّه أن يسرّ لي الخوض في غمار الحديث النبوي
في أطروحة الدكتوراه ، ثم وجدته أرضاً خصبة لزراعة النتاجات العلمية .
ومن خلال هذا العمل وقع اختياري على موضوع (ردود العيني على
ابن مالك في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري) لما لها من أثر
علمي ، إذ إن مثل هذه الموضوعات تبعث في نفس المنتبِع والدارس كثير تأمل
وعناية فائقة لفهم النصوص ثم الخروج بنتيجة تكاد تكون قريبة من الصواب ،
وحالي في هذا البحث حال كثير من الدارسين لا يخلو من الخطأ والسهو ، فما
كان من صواب فبتوفيق الله عز وجل ، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ،
وحسبي أن بذلت جهداً أعملتُ فيه العقل وأجهدتُ فيه النفس ، كي أقدم شيئاً
لعله يكون في قابل الأيام فرصة جديدة لأحد طلبة العلم ، فقد وجدت العيني في
ردوده على صورتين :

الأولى: ردود مصرّح بها بـ (هذا تكلف) أو (هذا تعسف) وغيرهما من الألفاظ .

والأخرى: إن الردّ يكون ضمناً وليس بالتصريح فيرجح تارة بعضاً من الآراء التي يخالف بها ابن مالك فتكون بالنتيجة رداً عليه .

فالصورة الأولى فلم ترد إلا في عشر مواضع اقتصرت على أربع منها خشية الإطالة ، فأردت في عملي هذا فتح طريق لطلبة العلم للخوض في مثل هذا العمل .

أما الصورة الثانية فهي الأكثر شيوعاً في كتابه عمدة القاري التي تصل بمجموعها إلى سبعين مسألة وقد تزيد .

ولم يكن العيني في ردوده أو في بعض ألفاظه التي ظاهرها ينبئ عن تجاوز إلا أن العيني لم يقصد النيل من ابن مالك ، وإنما هي اجتهادات ووجهات نظر تقدح في ذهن القارئ وفي مثل هذا الأمر مندوحة .

وإذا أردت أن أحكم حكماً عاماً على طبيعة الردود فلا يسعني إلا أن أقول : إن العيني تمحل في كثير من المسائل إلا أنني وجدته قريباً من الصواب في مسألة واحدة هي مجيء (يا) للنداء إذا وليها حرف .

واقترضت طبيعة البحث أن يقسم على مسائل رتبته حسب حروف الهجاء

:

- (إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل .
- العطف من غير حرف العطف .
- ما حكم حرف العطف إذا التقى بحرف الاستفهام ؟ هل التقديم أو التأخير ؟ .
- (يا) بين النداء والتنبيه .

وختاماً أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعل هذا العمل

خالصاً لوجهه الكريم ويرزقنا القبول .

العيني في سطور (١)

- هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف ابن محمد البدر الحلبي الأصلى القاهرى الحنفى المعروف بالعينى .
- ولد سابع عشر رمضان سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة .
- طلب النحو والصرف والمنطق والأصول والمعانى والبيان إضافة إلى علوم الشريعة ، وبرع فيها كلها .
- ولي قضاء الحنفية بالقاهرة في سنة ٨٢٩ .
- ثم أنصرف إلى الجمع والتصنيف والتدريس .
- تصانيفه كثيرة جدا منها :
 - شرح صحيح البخاري المسمى (عمدة القاري) .
 - شرح معانى الآثار للطحاوى .
 - رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق .
 - الشواهد الواقعة في شروح الألفية .
 - شرح التسهيل لابن مالك .
 - حاشية على شرح الألفية .
 - حاشية على التوضيح .

(١) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لحمد بن علي الشوكاني ، ٢٨٥/٢ ، ونظم العقيان في أعيان الأعيان ، للسيوطي ، ٦٠/١ .

- حاشية على شرح الجاربردي في التصريف .
 - مقدمة في الصرف .
 - مقدمة في العروض وغيرها .
- توفي ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمان مائة ودفن بالقاهرة ، رحمه الله .

ابن مالك في سطور (١)

- هو : محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الإمام العلامة الأوحى جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجباني الشافعي النحوي نزيل دمشق .
- ولد سنة ٦٠١ هـ .
- تصدر بحلب لإقراء العربية وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان إماماً في القراءات وعلها صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها ، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يشق لجه ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمراً عجبياً ، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية ، هذا مع الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمات وكمال العقل ، أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل وتخرج به جماعة .

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي ، ٤٤٣/١ .

• ومن تصانيفه :

- سبك المنظوم وفك المختوم .
 - وكتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها .
 - والخلاصة وهي مختصر الشافية .
 - وإكمال الإعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير .
 - ولامية الأفعال وشرحها .
 - وفعل وأفعل .
 - والمقدمة الأسدية وضعها باسم ولده الأسد .
 - وعدة اللافظ وعمدة الحافظ .
 - والنظم الأوجز فيما يهمز .
 - والاعتضاد في الظاء والضاد مجلد .
 - وإعراب مشكل البخاري ، وغير ذلك .
- توفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة بدمشق رحمه الله تعالى .

(إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل

أولاً: رأي ابن مالك: ((مجيء (إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل))
عند طائفة من النحاة .

قال ابن مالك ت (٦٧٢ هـ) : ((وقوله (إذ يخرجك قومك) (١) استعمل فيه (إذ) موافقة لـ (إذا) في إفادة الاستقبال ، وهو استعمال صحيح غَفَلَ عن التنبيه عليه أكثر النحويين ، ومنه قوله تعالى : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) (٢) ، وقوله تعالى : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ) (٣) ، وقوله تعالى : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) (٤) .

وكما استعملت (إذ) بمعنى (إذا) استعملت (إذا) بمعنى (إذ) كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ) (٥) ، وكقوله تعالى : (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أتَوْكَ لَتَحْمِلَهُمْ) (١) ،

(١) صحيح البخاري .

(٢) مرتب : ٣٩ .

(٣) غافر : ١٨ .

(٤) غافر : ٧٠ - ٧١ .

(٥) آل عمران : ١٥٦ .

وكقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا)^(٢) ؛ لأن (لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) و (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) مقولان فيما مضى .

وكذا الانفضاض المشار إليه واقع أيضاً فيما مضى ، فالمواضع الثلاثة صالحة لـ (إذ) وقد قامت (إذا) مقامها))^(٣) .
قال ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ) : ((هكذا ذكره ابن مالك وأقره عليه غير واحد))^(٤) .

إذن فابن مالك يرى :

- أن (إذ) موافقة لـ (إذا) في إفادة المستقبل .
- استعمالها في ذلك صحيح وإن غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين .
- أنه استعمال قرآني ، وله أمثلة كثيرة ذكر بعضها منها .
- أن (إذا) تقوم مقام (إذ) أيضاً في الدلالة على الماضي .

(١) التوبة : ٩٢ .

(٢) الجمعة : ١١ .

(٣) شواهد التوضيح : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) فتح الباري :

أدلة ابن مالك على قوله :

- ورود السماع بذلك في القرآن الكريم كما في الآيات التي ذكر طائفة منها .
- استعمال (إذا) بمعنى (إذ) فلا مانع إذن من عكس المسألة .
- صلاحية قيام (إذا) مقام (إذ) والعكس في هذه الشواهد المسموعة .

ثانياً : رأي العيني في المسألة :

اعترض العيني ت (٨٥٥ هـ) على ابن مالك بقوله : ((بل غفلوا عنه ؛ لأنّ التنبيه على مثل هذا ليس من وظيفتهم ، وإنما هو من وظيفة أهل المعاني))^(١) .

الملاحظ على اعتراض العيني أنه يعترض على ابن مالك من جوانب ثلاثة :

الأول : أنّه ينفي أن يكون بعض النحاة قد قالوا : بأن (إذ) بمعنى (إذا) كما يشعر به قول ابن مالك : ((غفل عن التنبيه عليه أكثر النحاة)) .

الثاني : أن هذا الإغفال ترك منهم لا غفلة عنه ؛ لأنه ليس من وظيفتهم ، قال ابن حجر العسقلاني عن ابن مالك : ((وتعقّب شيخنا - شيخ الإسلام - بأن النحاة لم يغفلوه بل منعوا وروده))^(٢) .

(١) عمدة القاري ١/٥٨ - ٥٩ .

(٢) فتح الباري ٣/١٤٦ .

والثالث : أن التنبيه على هذه المعاني من وظيفة أهل المعاني لا من وظيفة أهل النحو .

وزاد (ابن حجر) في الاعتراض على ابن مالك أن النحاة أولوا ما ظاهره ذلك ، وقالوا في مثل هذا : ((استعمل الصيغة الدالة على الماضي لتحقيق وقوعه فأنزلوه منزلته)) .

أدلة هذا الرأي :

- ١ . عدم تصريح النحاة بذلك .
- ٢ . عدم تعلق البحث النحوي بهذا التوجيه ؛ لأنه من وظيفة أهل المعاني .
- ٣ . أنهم أولوه على غير ما ذكر ابن مالك .
- ٤ . رواية الشاهد الحديثي عند البخاري نفسه بلفظ : ((حين يخرجك قومك)) (١) .

ترجيح ابن حجر العسقلاني :

يرى ابن حجر أن ما ادعاه ابن مالك فيه ارتكاب مجاز ، وما ذكره غيره يقصد تأولهم استعمال صيغة الماضي لتحقيق الوقوع فيه ارتكاب مجاز ، ثم رجح مجازهم على مجاز ابن مالك وجعله الأولى ؛ لما ينبني عليه من أن إيقاع المستقبل في صورة الماضي تحقيقاً لوقوعه أو استحضاراً للصورة الآتية في هذه

(١) فتح الباري ٣/ ٢٢٧ .

دون تلك مع وجوده في أفصح الكلام وكأنه أراد منع الورد وروداً محمولاً على حقيقة الحال لا على تأويل الاستقبال (١) .

ثالثاً: آراء أخرى :

على تفسير بعض الآيات التي ورد استعمال (إذ) بمعنى (إذا) فيها إما :

١ . على الماضي لا على الاستقبال كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ

دُونِ اللَّهِ) (٢) على قول (السدي) و (قطرب) في تفسيرهما إذ فسروها

(على وجه) : قال ذلك له حين رفعه إلى السماء ، وقالت النصارى فيه

ما قالت ، وإن ضعفه القرطبي (٣) .

قال أبو حيان ت (٧٤٥ هـ) : ((والظاهر أنها على أصل وضعها وأن ما

بعدها من الفعل الماضي قد وقع ولا يؤول بيقول ، قال السدي وغيره كان هذا

القول من الله تعالى حين رفع عيسى إليه وقالت النصارى ما قالت وادعت أن

عيسى أمرهم بذلك واختاره الطبري ...)) (٤) .

(١) ينظر : فتح الباري ٣/ ٢٢٨ .

(٢) المائة : ١١٦ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ٦/ ٣٧٤ .

(٤) البحر المحيط ٥/ ٦٢ .

٢. أنها حكاية حال ، قاله الزمخشري ت (٥٣٨هـ) في قوله تعالى : (**وَإِذِ يُرَفَعُ**

إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ)^(١) هي حكاية حال ماضية ، وتابعه السهيلي ت (٥٨١هـ) في ذلك^(٢) .

قال أبو حيان : ((وفي ذلك نظر))^(٣) .

٣. أنها زائدة : وهو قول أبي عبيدة في قوله تعالى : (**وَإِذِ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى**

ابْنَ مَرْيَمَ...) كما نقله أبو حيان^(٤) .

مناقشة أو تحليل :

(إذ) ظرف لما مضى من الزمان^(٥) .

و (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان^(٦) .

هذا هو الأصل عندهم ، ولا خلاف فيه بين ابن مالك والعيني ، وإنما الخلاف في ادعاء العيني منع النحاة الإبدال بينهما في الاستعمال ، ويؤيده ما ذكره السهيلي عن بيت أبي النجم :

نمنن بأرحام إليهم قريبة ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

(١) البقرة : ١٢٧ .

(٢) ينظر : نتائج الفكر ٩٣ .

(٣) البحر المحيط ٥٥٨/١ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٦٢/٥ .

(٥) ينظر : الكتاب ٦٠/٣ ، والمقتضب ٥٤/٢ ، وحروف المعاني ٦٣ ، والجنى الداني ٢١١ .

(٦) ينظر : حروف المعاني ٦٣ ، والجنى الداني ٣٦٢ .

فقد قال : ((إن (إذ) بمعنى (إذا) غير معروف في الكلام ولا حكاة ثبتت ، وما استشهد به من قول أبي النجم ليس على ما ظنّ ^(١) ، إنما معناه : ثم جزاه ربي إن جزى ، أي : من أجل أن نفعني وجزى عني ، و (إذ) بمعنى (أن) المفتوحة ، كذا قال سيبويه في سواد كتاب)) ^(٢) ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه العيني تماماً .

ولم أفق على ما ذكره من نسبة القول إلى سيبويه غير أن الدكتور عبد العال سالم مكرم ذهب ^(٣) بعد أن نقل نصوصاً من كلام سيبويه إلى أن (إذ) عند سيبويه لا تقع دالة على الاستقبال ، وتابع سيبويه في هذا الرأي جمهور النحويين ^(٤) .

والذي أفهمه من الإشارة إلى رأي جمهور النحاة لا يجيزون صرف معنى (إذ) إلى (إذا) بل يصرفون معنى الفعل المضارع إلى معنى الماضي كما يفهم من قول أبي حيان : ((إذ : من الأدوات المخصصة للمضارع إلى الماضي ؛ لأنها ظرف لما مضى من الزمان ^(٥) .

(١) يقصد : ابن هشام في سيرته .

(٢) نتائج الفكر : ٩٣ .

(٣) ينظر : أسلوب (إذ) في الدراسات القرآنية والنحوية ٢٥ .

(٤) ينظر : خزانة الأدب ٣/١٩٤ .

(٥) البحر المحيط ١/٣٧١ .

وقول ابن هشام : إن ((الجمهور لا يثبتون هذا القسم ويجعلون الآية) إذ

الأغلافي أعناقهم) من باب (وَفَخَفِي الصُّورِ)^(١) أعني من تنزيل
المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع))^(٢) .

لذلك ذهب الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة إلى أن الفعل بعد (إذ)
بمعنى الماضي ؛ لأنها تصرف المضارع إلى الماضي^(٣) على أنه لا يثبت
على هذا الرأي كما سيأتي .

فعلى هذا يكون رأي الجمهور على تفسير الفعل المضارع بعد (إذ)
بمعنى الماضي لا تفسير (إذ) بمعنى (إذا) ، وهو ما نبّه عليه ابن مالك
بالإغفال ، لكنه يؤكد أن النحاة خاضوا في هذه المسألة وأنها ليست من وظيفة
أهل المعاني فحسب .

فهذا ابن أبي الربيع ت (٦٨٨ هـ) - وهو معاصر لابن مالك يقول - : ((
أما (إذ) فتضاف إلى الجملة الفعلية وإلى الجملة الاسمية ، فإذا أضيفت إلى
الجملة الفعلية فالفعل ماضٍ ... وتضاف إلى الفعل المضارع وتكون من وضع
المضارع موضع الماضي ؛ لأن (إذ) لما مضى من الزمان ، قال الله تعالى :
(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ)^(٤)))^(٥) ؛ لأن الحديث عن دلالة المضارع

(١) الكهف : ٩٩ .

(٢) مغني اللبيب ١/٨٦ .

(٣) ينظر : ينظر : دراسات أسلوب القرآن ١/١٠٣ .

(٤) الأحزاب : ٣٧ .

(٥) البسيط في شرح جمل الزجاجي : ٨٧٨ .

على المضي مع (إذ) لا تختلف كثير اختلاف عن استعمال (إذ) في معنى (إذا) .

فأرى أن عبارة ابن مالك بنسبة الإغفال إلى النحاة أدق من عبارة العيني بأن نقاش المسألة ليس من وظيفتهم ، كما أن عبارة ابن مالك في نسبة استعمال (إذ) بمعنى (إذا) على القلة أدق من عبارة العيني الذي نسب المنع إليهم وعدم وجود القائل التَّبَّتْ بذلك على حد عبارة السهيلي .

وهذا ابن هشام ت (٧٦١ هـ) يؤكد أن الفعل المضارع بعد (إذ) باقٍ على دلالة الاستقبال لفظاً ومعنى ، وليس أدلّ من ذلك عبارة على ما ذهب إليه ابن مالك ، قال : ((إن يعملون) مستقبل لفظاً ومعنى ؛ لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد أعمل في (إذ) فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا)^(١).

أما من حيث مجيء بعضها بدل بعض ، فقد قال ابن فارس ت (٣٩٥ هـ) : ((وقال آخرون (إذ) و (إذا) بمعنى ، كقوله جلّ ثناؤه : (وَكُوِّ

تَرَى إِذْ فَرَعُوا)^(٢) ، بمعنى (إذا) ، قال أبو النجم :

ثم جزاه الله عنا إذ جرى جنات عدنٍ في العلا

المعنى : إذا جرى لأنه لم يقع ((^(٣) .

(١) مغني اللبيب ١/ ٨٦ .

(٢) سبأ : ٥١ .

(٣) الصاحي ١١٢ .

وقال الثعالبي : ((... (إذ) بمعنى (إذا) كما قال الله **عَلَّكَ** : (**وَلَوْ**

تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَمَّا فَوَتْ) ومعناه : إذا فزعوا ... ؛ لأن (إذا) و (إذ) بمعنى واحد في بعض المواضع ^(١) .

وقال الرضي ت (٦٨٦هـ) : ((قد تكون (إذا) للماضي ك (إذ) كما

في قوله تعالى : (**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**) ^(٢) ، و (**حَتَّىٰ إِذَا**

سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) ^(٣) و (**حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**) ^(٤) ، كما أن (إذ

(تكون للمستقبل ك (إذا) ...)) ^(٥) .

قال ابن أم قاسم المرادي ت (٧٤٩هـ) في (إذ) : ((أن يكون ظرفاً

لما يستقبل من الزمان بمعنى (إذا) ، ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم

ابن مالك ...)) ^(٦) .

وقال ابن منظور من غير نسبة إلى قال : ((وقال غيره - يقصد غير

الليث - : العرب تضع (إذ) للمستقبل ، و (إذا) للماضي ، قال الله **عَلَّكَ** :

(**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا**) ، معناه : ولو ترى إذ يفزعون يوم القيامة)) ^(١) .

(١) فقه اللغة ٥٣٤ .

(٢) الكهف : ٩٣ .

(٣) الكهف : ٩٦ .

(٤) الكهف : ٩٦ .

(٥) شرح الرضي على الكافية ٢٧٠/٣ .

(٦) الجنى الداني : ٢١٢ .

وقال أبو حيان : ((... (إذ) ظرف لما مضى من الزمان ، فإمّا أن يتجاوز فيه فيكون بمعنى (إذا) ...))^(٢) .

وقال ابن الشجري ت (هـ) عن بيت أبي النجم : ((فوضع (إذ) موضع (إذا) ..))^(٣) .

ولأجل ذلك قال العكبري ت (٦١٦ هـ) : ((وهو كثير في القرآن))^(٤) ، وتابعه القرطبي ت (٦٧١ هـ)^(٥) ، والعز بن عبد السلام^(٦) ، وأبو حيان^(٧) .

كل هذه النقول جعلت شيخاً ك (محمد عبد الخالق عزيمة) يقول : النصوص السابقة التي أوردناها وفيها السابق عن السهيلي والمتأخر عنه تشهد بأن (إذ) بمعنى (إذا) ، وهو رأي جماعة كثيرة ، وما الذي يمنع أن تقوم الأدوات بعضها مقام بعض تجيء (إذ) بمعنى (إذا) كما تجيء (إذ) ...))^(٨) .

(١) لسان العرب ١/١٠٨ (تفسير إذ) .

(٢) البحر المحيط ٧/٢٣ .

(٣) أمالي ابن الشجري ١/٤٥ .

(٤) إعراب القرآن : ١/١٠٢ و ٢/١٠٥ .

(٥) تفسيره : ٣/٣٧٢ .

(٦) الإشارة إلى الإيجاز : ٢٦ .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٤/٥٨ و ٦/١٩١ و ٧/٤٧٤ .

(٨) دراسات لأسلوب القرآن : ١/١٤٥ .

وقال في موضع آخر : ((... (إذ) للزمن المستقبل ، فهي بمعنى (إذا) ومستعملة استعمالها كما فُرى في السبع بـ (إذ) و (إذا) في قوله تعالى : (**وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ**)^(١) قرأ الأربعة من السبعة (والليل إذا أدبر) ...))^(٢) .

ولذلك ذهب الدكتور عبد العال سالم مكرم في دراسته لـ (إذ) إلى أن الرأي الذي يميل إليه هو جواز وقوعها موقع (إذا) الدالة على المستقبل ؛ لأن الأدوات يقع بعضها موقع بعض لاعتبارات بلاغية تدرك من الموقف وتتضح من السياق ويشير إليها الأسلوب ...))^(٣) .

ومما يسعف قول ابن مالك ورود روايات كثيرة في صحيح البخاري تعضد ما ذهب إليه ، منها :

- ما رواه مجاهد رضي الله عنه قال : كُنَّا عند ابن عباس رضي الله عنهما فذكروا الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر ، فقال ابن عباس : لم أسمع له ولكنه قال : **أَمَّا موسى كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْهِ إِذْ انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي**))^(٤) ، وفي رواية أبي نر الهروي^(٥) : (إذا انحدر)^(٦) .

وحكى القاضي عياض ت (٥٤٤هـ) إنكار بعض العلماء في ورود (إذا) في الحديث السابق (إذ انحدر) وأنهم غلطوا رواته ، ثم عقب بأن هذا

(١) المدثر : ٣٣ .

(٢) دراسات لأسلوب القرآن : ١٠٥/١ .

(٣) أسلوب (إذ) في الدراسات القرآنية والنحوية : ٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ٧٢/٣ (١٥٥٥) .

(٥) أحد رواة الجامع الصحيح (صحيح البخاري) .

(٦) ينظر : إرشاد الساري ١١٩/٣ .

الإنكار هو الغلط ، إذ لا فرق بين (إذ) و (إذا) هنا ؛ لأنه وصفه حالة انحداره (١) .

وفصل الكرماني ت (٧٨٦هـ) القول فيهما ، فمجيء الرواية ب (إذا) على إخبار في المستقبل ، ولم يثبت أن موسى عليه السلام حيّ وأنه سيحجّ ، وإنما أتى ذلك عن عيسى عليه السلام ، أما رواية (إذ) فتكون أنسب لتوافقها مع الزمن الماضي بأن يراه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أو يوحي إليه هذا من جهة السياق النحو ، أما من الجهة الحديثية فالمناسب لذكر الدجال هو عيسى عليه السلام وليس موسى (٢) .

وتعقبه القسطلاني ت (٩٢٣هـ) بأنه لا فرق بين موسى وعيسى عليهما السلام ؛ لأنه لم يثبت أن عيسى عليه السلام منذ رُفِعَ نزل إلى الأرض ، وإنما ثبت أنه سينزل عند أشراط الساعة (٣) وثبت ما يشبه الرواية السابقة بلفظ (موسى) عند مسلم : ((كأنني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية)) (٤) .

إذن ثبوت الرواية ب (إذا) و (إذ) معتمد على لفظ (موسى) أو (عيسى) عليهما السلام بين إثبات وإنكار ، وربما يكون الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ينظر : مشارق الأنوار ٢١٤/١ ، وفتح الباري ٥٠٩/٣ ، وعمدة القاري ١٨١/٩ ، وإرشاد الساري ١١٩/٣ .

(٢) ينظر : الكواكب الدراري ٨١/٨ .

(٣) ينظر : إرشاد الساري ١٢٠/٣ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٨/٢ (١٦٦) .

أخبر عمّا أُوحي إليه من الأمر وما حصل منهم وإن لم يرهم رؤية عين (١) ، وعلى هذا تكون الروايتان صحيحتين .

إن ما أورده العيني على ابن مالك غير مسلم به ؛ لأن ابن مالك لم يوح كلامه أن الأصل في (إذ) و (إذا) أن يقع كل واحد منهما بدل الآخر ، ولكنه عاين في نصوص القرآن الكريم فوجد أنهما يتبادلان المواقع ، فمن حبكته أنه نبّه على مثل هذا ، فيكون العيني قد حجّر واسعاً والله أعلم .

العطف بغير حرف العطف

قال ابن مالك : عند كلامه على قول عمر رضي الله عنه : ((صلّى رجلٌ في إزار ورداء ، في إزار وقميص ، في إزار وقباء)) (٢) ((فحذف حرف العطف مرتين لصحة المعنى بحذفه)) (٣) .

وقال العيني : ((الأصل في العطف أن يكون بالأداة وما نصّ عليه ابن مالك غير مشهور بخلاف ما عليه الجمهور)) (٤) .

الأصل في حروف العطف أن تعمل ظاهرة ، واختلف في عملها محذوفة ، فذهب أبو إسحاق الزجاج ت (٣١١هـ) وأبو عليّ الفارسيّ ، وابن عسّور ت

(١) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧٨/٢ - ٧٩ .

(٢) صحيح البخاري ٢١٣/٣ (١٢١٠) .

(٣) شواهد التوضيح ١١٧ .

(٤) عمدة القاري ٤٢/١ - ٤٣ .

(٦٦٩ هـ) (١) ، وابن مالك وغيرهم (٢) إلى جواز ذلك كقوله تعالى : (صُمُّكُمْ

عُمِّي فَمَنْ لَا يَرْجِعُونَ) (٣) ، أي : صَمَّ وَبِكَمَّ وَعَمِّي (٤) .

وكقول الشاعر (٥) :

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا يَغْرَسُ الْوَدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ

أراد : كيف أصبحت وكيف أمسيت .

وكقول الشاعر :

وكيف لا أبكي على علاّتي صبائحي ، غبائقي ، قيلاتي

أي : صبائحي وغبائقي (٦) .

وكقول الحطيئة (٧) :

إن امرأ رهطه بالشام منزله رمل يبرين جارا شدا ما اغتربا

أي : ومنزله برمل يبرين (١) .

(١) ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢١٥/١ .

(٢) كالأزهري والسيوطي . ينظر : شرح التصريح ١٥٩/٢ ، وهمع الهوامع ١٩٣/٣ ، وحاشية الصبان ١٧٣/٣ .

(٣) البقرة : ١٨ .

(٤) ينظر إعراب القرآن للزجاج ٨٠٣/٣ وما بعدها .

(٥) لم يعلم قائله . ينظر : الخصائص ٨٤/١ ، وشرح الأشموني ١٧٣/٣ ، وشرح التصريح ١٥٩/٢ .

(٦) ينظر : الخصائص ٨٤/١ و ١٨٨ .

(٧) ديوانه : ١٤ .

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ تَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ))^(٢) ، أي : من دينارهِ إن كان ذا دنانير ، ومن درهمهِ إن كان ذا دراهم^(٣) .

وكقول الراجز^(٤) :

ضرباً طَلَخُفَاً فِي الطَّلَى سَخِينَا

وحكى أبو عثمان المازني عن أبي زيد أنه سمع : أَكَلْتُ خَبْزاً لِحْمًا تَمْرًا ، أراد : خبزاً وتمراً ، وقيل : على بدل الإضراب^(٥) ، ولا يكون ذلك إلا في (الواو) و (أو)^(٦) .

وبشبه ذلك ما حكاه أبو الحسن : ((أَعْطِهِ دِرْهَمًا دِرْهَمِينَ ثَلَاثَةً)) ، على الاحتمالين السابقين^(٧) .

-
- (١) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٢) السنن الكبرى للبيهقي ١٧٥/٤ .
(٣) ينظر : شفاء العليل ٧٩٥/٢ .
(٤) لم يعلم قائله . ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢١٥/١ ، ولسان العرب ٥٧٦/٥ .
(٥) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٦) ينظر : شفاء العليل ٧٩٥/٢ - ٧٩٦ ، وشرح الأشموني ١٧٩/٣ ، ومغني اللبيب ٤١٢/٢ ، وفي رواية الخصائص ٨٤/١ و ١٨٨ : أَكَلْتُ لِحْمًا سَمَكًا تَمْرًا .
(٧) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .

وَمَنْ أَجَارَ مِثْلَ هَذَا حَمَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ**) ^(١) ، أي :
 ووجوه ، عطف على (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ**) ^(٢) ، وكقوله تعالى : (**أَنْ**
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَامُ) ^(٣) في قراءة مَنْ قرأ بفتح همزة (**إِنَّ**) ^(٤) عطفاً على
 على قوله تعالى : (**أَنَّ لِلَّهِ الْإِلَهَ الْأَهْوَى**) ^(٥) ، أي : وأنّ الدين عند الله الإسلام ^(٦) .
 وردّ ابن هشام قراءة الكسائي بقوله : ((ويبعده أن فيه فصلاً بين
 المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب ، وبين المنصوبين بالمرفوع)) ^(٧) .
 وإذا قيس هذا الحذف على حرف الاستفهام فإنما ((جاز حذف حرف
 الاستفهام اتفاقاً ؛ لأن للاستفهام هيئة تخالف هيئة الإخبار)) ^(٨) .
 أما المذهب الثاني فمنع عمل حروف العطف مضمرة ؛ ((لأنه الحروف
 دالة على معاني في نفس المتكلم ، وإضمارها لا يفيد معناها ...)) ^(٩) .

(١) الغاشية : ٨ .

(٢) الغاشية : ٢ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) وهي قراءة الكسائي . ينظر : الحجة للقرءاء السبعة ٢٣/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٢١ ، والنشر
 . ٢٣٨

(٥) آل عمران : ١٨ .

(٦) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .

(٨) حاشية الصبان ١٧٢/٣ ، وينظر : همع الهوامع ١٩٣/١ .

(٩) همع الهوامع ١٩٣/١ .

ومن هؤلاء ابن جنّي ت (٣٩٢هـ) ، وابن الضائع ت (٦٨٠هـ) ، والسهيلي ت (٦٨٨هـ) ، وتبعهم ابن قنم الجوزية ت (٧٥١هـ) .

وقيد ابن هشام وروده بالشعر (١) .

وثمره هذا الخلاف أن ابن مالك لم يجعل عمل حروف العطف مضمرة هو الأصل ولكن تعدد الشاهد في مثل هذا ، ربما يخرجها ولو نزرأ يسيراً عن الندرة إلا أن العمل بحرف العطف ظاهرة هو المشهور كما مرّ بخلاف ابن جنّي في جعله من قبيل الشاذ .

فينبني على ما تقدم أن قول عائشة رضي الله عنها الثاني معطوف على الإسناد الأول (٢) . بخلاف من قال : بتعليقه للبخاري (٣) بدليل أن الحديثين قد وردا مفصولين عن بعضهما بالإسناد نفسه كما رواه مسلم (٤) والدارقطني (٥) .

(١) ينظر : مغني اللبيب ٤١١/٢ .

(٢) ينظر : فتح الباري ٢٥/١ ، وإرشاد الساري ٦٠/١ .

(٣) ينظر : الكواكب الدراري ٢٦/١ .

(٤) صحيح مسلم ١٥٤/٦ (٥٤٢٦) .

(٥) ينظر : فتح الباري ٢٧/١ .

ما حكم حرف العطف إذا التقى بحرف الاستفهام ؟

هل التقديم أو التأخير ؟

قال ابن مالك عند كلامه على قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لورقة بن نوفل : ((فالأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جاء بعده بأخواتها ^(١) فكان يقال في (أفنطمعون) وفي (أو كلما) وفي (أثم إذا ما وقع) : (فاططمعون) ، و (وأكلما) و (ثم إذا ما وقع) لان همزة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل ، والعاطف لا يتقدم على جزء مما عطف .
ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أنها أصل أدوات الاستفهام ، لان الاستفهام له صدر الكلام ، وقد خولف هذا الأصل في غير الهمزة فأرادوا التنبيه عليه فكانت الهمزة بذلك أولى ، لأصالتها في الاستفهام وقد غفل الزمخشري في معظم كلامه في الكشف عن هذا المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة معطوفا عليها بالعاطف ما بعده . وفي هذا من التكلف ومخالفة الأصول ما لا يخفى)) .

قال العيني ت (٨٥٥هـ) : ((لم يغفل الزمخشري عن ذلك وإنما ادعى هذه الدعوى لدقة نظر فيه ، وذلك لان قوله (أو مخرجي هم) جواب ورد على قوله : (إذ يخرجك قومك) على سبيل الاستبعاد والتعجب ، فكيف يجوز أن يقدر

(١) يعني في قوله تعالى : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) (آل عمران : ١٠١) ، وكقوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ

فِي الْمُنَافِقِينَ فَتُحَنَّنَ) (النساء : ٨٨) .

فيه تقديم حرف العطف على الهمزة ^(١) ، ولان هذه إنشائية وتلك خيرية فلأجل ذلك قد مت الهمزة على أن أصلها : أمخري هم بدون حرف العطف ولكن لما أريد مزيد استبعاد وتعجب جيء بحرف العطف على مقدر تقديره : أمعادي هم ومخري هم .

وأما إنكار الحذف في مثل هذه المواضع فمستبعد ، لان مثل هذه المحذوف منطليه البلاغة لا سيما الأمانة قائمة عليها والدليل عليها هنا وجود العاطف ، ولا يجوز العطف على المذكور فيجب أن يقدر بعد الهمزة ما يوافق المعطوف تقديراً في الاستبعاد ^(٢) . اجتمع استفهام وعطف فحق أدوات الاستفهام أن تأتي بعد الحروف العطف كما في قوله تعالى (**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ**)

(**وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ**) ^(٣) ، وقوله تعالى : (**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ**)

(**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ**) ^(٤) ، وقوله تعالى : (**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ**) ^(٥) ، وقوله تعالى : (**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ**) ^(٦) ، وغيرها من الآيات .

وقد خولف هذا الأصل عند دخول الهمزة ، فإنها تتقدم على العاطف تنبيهاً على أصلتها وأنها أمّ الباب وأن الاستفهام له صدر الكلام - كما تقدم - كقوله

(١) شواهد ، ٦٤

(٢) عمدة القاري ٥٩/١ .

(٣) آل عمران : ١٠١ .

(٤) النساء : ٨٨ .

(٥) الأنعام : ٨١ .

(٦) الأنعام : ٩٥ .

تعالى : (أَقْطَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ) ^(١) ، وكقوله تعالى : (أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ) ^(٢) ، وهذا مذهب الجمهور ^(٣) .

وذهب جماعة منهم الزمخشري ن (٥٣٨ هـ) ^(٤) ومن وافقه ^(٥) إلى أن بين الهمزة وحرف العطف كلاماً محذوفاً يقتضيه السياق ، وما بعد العطف معطوف على ذلك المقدّر .

هذا ما قاله الزمخشري في كشافه في غير موضع ، من ذلك : في قوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكُتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ^(٦) ((ألا تظنون لقبح ما أقدمتم عليه فتعقلون)) ^(٧) ، وكقوله تعالى : (أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) ^(٨) ، وكقوله

(١) البقرة : ٧٥ .

(٢) البقرة : ٨٧ .

(٣) ينظر : الكتاب ٦٧/٣ ، والمقتضب ١١٣/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٨ - ٧٨ .

(٤) تفسير الكشاف ٦٦/١ .

(٥) منهم العيني في عمدة القاري ٥٩/١ ، وأبو السعود في تفسيره ١٤٨/١ .

(٦) البقرة : ٤٤ .

(٧) تفسير الكشاف ٦٦/١ .

(٨) الأعراف : ٦٣ .

وكقوله تعالى : (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) ^(١) ، ((ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم)) ^(٢) .

وقال أيضاً في الفائق عند كلامه على : (أويأكلها أحد) : ((الواو في (أويأكلها) هي العاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام ، والمعطوف عليه مثل هذا الكلام محذوف مقدر)) ^(٣) .

ولم يقتصر هذا القول على الزمخشري فحسب ، بل نقله غيره من النحويين من غير تفنيد وكأنه مقرّر به كما جاء في شرح ابن عقيل في قوله : ((قد

يحذف المعطوف عليه ، وجعل منه قوله تعالى : (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ

عَلَيْكُمْ) ، قال الزمخشري: التقديم ألم تأتكم آياتي فلم تكن تتلى عليكم ، فحذف المعطوف عليه وهو (ألم تأتكم) ...)) ^(٤) .

وربما وَهَمَّ ابْنُ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ : ((وقد رجع الزمخشري عن الحذف إلى ترجيح الهمزة على أخواتها بتكميل التصدير)) ^(٥) ، وتابعه في هذا أبو حيان بقوله : ((وقد رجع عن هذا القول في بعض تصانيفه إلى قول الجماعة)) ^(٦) .

(١) الجاثية : ٣١ .

(٢) تفسير الكشاف ٤٤٤/٣ .

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر ٨٢/١ (الحاء مع التاء) .

(٤) شرح ابن عقيل ٢٤٣/٣ .

(٥) شواهد التوضيح ٦٥ .

(٦) البحر المحيط ٢٧١/١ .

وتعقب الرضيُّ ت (٦٨٦ هـ) الزمخشريُّ بأنّ : ((هذه الحروف ولو كانت كما قال ، لجاز وقوعها في أول الكلام قبل تقدم ما يكون معطوفاً عليه ، ولم تجئ إلا مبنية على كلام متقدم)) (١) .

ورّد الزمخشري أيضاً بعدم الاطراد ، ((إذ لا يمكن في النحو (أفمن)

هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ) (٢) ، وبأن فيه حذف جملة معطوفة عليها من غير دليل (((٣) .

وعند تتبع المواضع التي تناولها الزمخشري في كشفه نجده قد تابع رأي الجمهور تارة ، وتارة أخرى يخالفهم فيعود إلى سابق عهده أو يجوّز الوجهين (٤) .

وبهذا يصل الزمخشري إلى جعل اطراد الحكم العطف على الجملة المحذوفة ، ولكنه متى تعذر ذلك عاد فوافق الجمهور .

إن فتريج العيني كلام الزمخشري وتعليه يحمل من الصواب الشيء الكثير الذي لا يمكن إغفاله ، فالزمخشري يقرّ بصدارة همزة الاستفهام حاله حال النحويين ، وإن اطراد الحكم عنده بعد حروف العطف هو العطف على الجمل السابقة إلا في مواضع معينة نبّه عليها في الكشف ؛ لذلك يحتاج إلى تقدير جملة محذوفة بين همزة وحرف العطف والله أعلم .

(١) شرح الرضي ٤/٤١٦ .

(٢) الرعد : ٣٣ .

(٣) الجني الداني : ٩٧ .

(٤) ردود أبي حيان الأندلسي ، أطروحة دكتوراه ص ٣٧ - ٣٨ .

(يا) بين النداء والتنبيه

قال ابن مالك ت (٦٧٢) هـ : ((يظن أكثر الناس أن (يا) التي تليها (ليت) حرف نداء ، والمنادى محذوف ، فتقدير قول ورقه على هذا : يا محمد لييتي كنت حياً ، وتقدير قوله تعالى : (يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ)^(١) : يا قوم لييتي كنت معهم .

وهذا الرأي عندي ضعيف ؛ لأن قائل (يا لييتي) قد يكون وحده ، فلا يكون معه منادي ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : (يَا لَيْتَنِي

مِتُّ قَبْلَ هَذَا)^(٢) ، ولأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا الموضع الذي ادّعي فيه الحذف مستعملاً فيه ثبوته فحسن حذف المنادى قبل الأمر والدعاء اعتياد ثبوته في محل ادعاء الحذف ، بخلاف (ليت) فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتاً ، فادعاء حذفه باطل ؛ لخلوه من دليل ، فيتعين كون (يا) التي تقع قبلها لمجرد التنبيه ...))^(٣) .

وقال العيني : ((دعواه ببطلان الحذف غير سديدة ؛ لأنّ دليله لم يساعده ، أمّا قوله : لأن قائل (لييتي) قد يكون وحده ... فظاهر الفساد ؛ لأنه يجوز أن يقدر فيه نفسي فيخاطب نفسه على سبيل التجريد ، فالتقدير في الآية : يا نفسي

(١) النساء : ٧٣ .

(٢) مريم : ٢٣ .

(٣) شواهد التوضيح ٦٠ .

ليتني متّ قبل هذا ، وههنا أيضاً يكون التقدير : يا نفسي ليتني كنت فيها جذعاً

وأما قوله : لأن الشيء إنما يجوز حذفه فظاهر البعد ؛ لأنه لا ملازمة بين جواز الحذف وبين ثبوت استعماله فيه))^(١) .

يكاد يكون الإجماع منعقداً بين النحويين في جواز حذف المنادى إذا ولي حرف النداء فعل^(٢) ، ولكنهم اختلفوا في مجيء الحرف بعد أداة النداء :

- فمنهم من أجاز الحذف مطلقاً حتى مع الحرف كالعكبري وابن الخبّاز ت (٦٣٧ هـ) في قوله : ((فإن وجدت بعد حرف النداء فعلاً أو حرفاً فهو على حذف المنادى))^(٣) ، وتبعهما العاتكي ت (٨٧٠ هـ)^(٤) .

- ومنهم من جعلها لمجرد التنبيه كأبي عليّ الفارسي^(٥) ت (٣٧٧ هـ) وابن مالك^(٦) وأبي حيان ت (٧٤٥ هـ)^(٧) وابن عقيل^(٨) والسلسلي ت (٧٧٠ هـ)^(٩) والسيوطي ت (٩١١ هـ)^(١٠) كقوله تعالى : (يَا لَيْتَنِي كُتُّ

(١) عمدة القاري ٥٨/١ .

(٢) ينظر : الإنصاف ٩٩/١ - ١٠٠ ، وشواهد التوضيح ٦٠ ، وجمع الهوامع ٤٨٧/٢ .

(٣) ينظر : توجيه اللمع ٣١٨ .

(٤) ينظر : شرح الشذرة الذهبية - رسالة ماجستير : ١٠٧ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٦٥/٧ .

(٦) ينظر : شواهد التوضيح ٦٠ - ٦٢ .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٦٥/٧ .

(٨) ينظر : المساعد على تسهيل الفوائد ٤٨٦/٢ - ٤٨٧ .

(٩) ينظر : شفاء العليل ٨٠٤/٢ و ٩٨٠/٣ .

(١٠) ينظر : جمع الهوامع ٤٨٧/٢ .

مَعَهُمْ فَافُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا^(١) ، وكقوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)^(٢) ،
وكقوله صلى الله عليه وسلم : ((يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة))^(٣) ، وكقول هند
أم معاوية بن أبي سفيان^(٤) :

يا رَبِّ قَائِلَةٌ غَدًا يا وَيْحَ أُمَّ مَعَاوِيَةَ

وكقول الشاعر^(٥) :

يا رَبِّ سَارِبَاتَ مَا تَوَسَّدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعَنْسِ أَوْ كَفَّ الْيَدَا

وغيرها كثير^(٦) .

وقد شدّد أبو حيّان النكير على مَنْ جعل (يا) على أصلها وهو النداء في
مثل هذه المواضع بقوله : ((والذي يقتضيه النظر أنه لا يجوز ؛ لأن الجمع

(١) النساء : ٧٣ .

(٢) يس : ٢٦ - ٢٧ .

(٣) صحيح البخاري : ٤٠/١ (١١٥) .

(٤) ينظر : شواهد التوضيح ١١٦ .

(٥) لم يعلم قائله . ينظر : شواهد التوضيح ١١٧ ، وشفاء العليل ٨٠٣/٢ ، والجنى الداني ١٧٢ .

(٦) ينظر : نظرة في أسلوب النداء ، د. فريد محمود العمري ، بحث منشور في مجلة الأحمدية ع/١٤ ،

بين حذف النداء وحذف المنادى إجحاف ولم يرد بذلك سماع من العرب فيُقْبَل ،
و (يا) في الآية والبيت ونحوهما للتنبيه ((^(١)).

وربما بالغ ابن مالك في قوله : ((فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها
ثابتاً ، فادعاء حذفه باطل لخلوّه من دليل))^(٢).

بعد معرفة حجة من أجاز ومن منع يمكننا القول : إن بين النداء والتنبيه
التقاء وتقارباً ، ألا ترى أنك إذا ناديت نبّهت المنادى ثم بالغت في التنبيه للدعوة
، وهذا ما نستطيع أن نتلمسه ونفهمه من سيبويه ت (١٨٠هـ) في قوله : ((وأما
(يا) فتنبيه ، ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور ، قال الشاعر
وهو الشماخ^(٣) :

ألا يا اسقياني قبل غارة سنجالٍ وقبَل منايا قد حضرنَ وآجالٍ^(٤)

وبهذا المعنى صرّح المرادي لمّا عرّف (يا) بقوله : أن تكون لتنبيه
المنادى نحو : (يا زيدُ))^(٥).

والذي يبدو أن مَنْ جعلها تعمل عمل (ها) التي للتنبيه فقد حجّر واسعاً
، والأمثل والأقرب هو حذف المنادى من غير تقييد ، وجعل (يا) للنداء ،
فيكون ردّ العيني يحمل من الوجاهة الشيء الكثير وهو الأقرب للصواب والله
أعلم .

(١) ينظر : البحر المحيط ٦٦/٧ .

(٢) شواهد التوضيح ٦١ .

(٣) ينظر : الكتاب ٢٢٤/٤ ، ومغني اللبيب ٧٠٥/١ ، والجنى الداني ٣٥٠ .

(٤) الكتاب ٢٢٤/٤ .

(٥) الجنى الداني ٣٤٩ .

الخاتمة والتوصيات

بعد طول تأمل وصبر لا بد لي أن أوجز ما خلصتُ إليه لكتابة هذا البحث ، وهي على النحو الآتي :

١. إن الخوض في لغة الحديث النبوي يفتح آفاقاً كبيرة للعمل ، فهو ما زال أرضاً خصبة على المستوى اللغوي والنحوي والبلاغي والأسلوبي وما إلى ذلك .

٢. تتضح صورة الاحتجاج بالحديث النبوي من خلال تتبع الردود ، التي كان مبناها معتمد على تدقيق وتصحيح روايات صحيح البخاري التي ذكرها ابن مالك .

٣. لم يكن ابن مالك يقر في كثير من المسائل ان هذا هو الاصل او الاشهر وانما صب جل اهتمامه على تخريج على الروايات التي تقع بين يديه التي ظاهرها الاختلاف وكما هو معلوم ان صحيح البخاري وصلنا بروايات كثيرة تصل الى احدى عشرة رواية كلها صحيحة من جهة النقل الا انها تتفاوت من حيث الوجة لغوية والنحوية بين مشهور واقل شهر وبين نادر ، وبين فصيح واقل فصاحة .

٤. ربما تمحل العيني في كثير من المسائل التي رد بها على ابن مالك ، ولم يكن معها الحق فيما يبدو لي الا في مسألة واحدة .

٥. يؤكد هذا البحث على طلبة العلم بالاهتمام لدراسة الحديث النبوي دراسة لغوية نحوية بلاغية اسلوبية لما يحويه من سعة في الاستعمال وكثرة الروايات .

المصادر والمراجع

- ❖ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ) ، وضع حواشيه : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيان الاندلسي ت (٧٤٥ هـ) ، تحقيق : د. رجب عثمان محمد ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ❖ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت (٩٢٣ هـ) ، بهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ❖ الأمالي الشجرية : لضياء أبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري ت (٥٤٢ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - ١٣٤٩ هـ .
- ❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي ت (٥٧٧ هـ) ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

- ❖ تفسر القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : لأبي عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١ هـ) ، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٣ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة - ١٩٦٧ .
- ❖ توجيه اللمع : لأحمد بن الحسين بن الخباز ت (٦٣٧ هـ) ، تحقيق : د. فايز زكي محمد ذياب ، دار السلام ، ط ١ ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ❖ الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي ت (٧٤٩ هـ) ، تحقيق : د. طه محسن ، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ❖ حاشية الصبّان : محمد بن علي الصبّان ت (١٢٠٦ هـ) ، تحقيق : محمد ابن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ❖ الحجة للقراء السبعة : لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ت (٣٧٧ هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي ت (١٠٩٣ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - ١٩٨٣ .
- ❖ الخصائص : صنعة أبي عثمان ابن جنّي ت (٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - ١٩٩٠ .

❖ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين محمود الألوسي ت (١٢٧٠ هـ) ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د. ت. .

❖ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت (٧٦٩ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الفكر ، بيروت - لبنان .

❖ **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الشافعي ت (٩٠٠ هـ) ، مطبوع مع حاشية الصبان .

❖ **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو** : خالد بن عبد الله الأزهري ت (٩٠٥ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

❖ **شرح المفصل** : لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ت (٦٤٣ هـ) ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة - مصر .

❖ **شرح جمل الزجاجي** : لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشيبلي ت (٦٦٧ هـ) ، قدم له ووضع هوامشه : فواز الشعار ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

❖ **شرح كافية ابن الحاجب** : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي ت (٦٨٦ هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : الدكتور إميل بديع

يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ -
١٩٩٨ م .

❖ **شفاء العليل في إيضاح التسهيل** : لأبي عبد الله محمد بن عيسى
السلسلي ت (٧٧٠ هـ) ، تحقيق : د. الشريف عبد الله علي الحسيني
البركاتي ، المكتبة الفيصلية ، ط ١ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦ هـ -
١٩٨٦ م .

❖ **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح** : لجمال الدين
بن مالك الأندلسي ت (٦٧٢ هـ) ، تحقيق : د. طه محسن ، من
مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية ، طبع بمطابع دار
آفاق عربية للصحافة والنشر .

❖ **صحيح البخاري** : لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦ هـ)
، تقديم : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

❖ **صحيح مسلم بشرح النووي** : للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن
شرف النووي ت (٦٧٦ هـ) ، طبعة جديدة ومزودة ومنقحة اعتنى به :
محمد بن عيادي بن عبد الحلیم ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، الدار البيضاء
- المملكة المغربية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

❖ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** : للحافظ المشهور ب (البدر العيني
ت (٨٥٥ هـ) دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

❖ **الفائق في غريب الحديث** : جار الله ابن عمر الزمخشري ت (٥٣٨ هـ) ،
تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ،
مطبوعات جامعة أم القرى - ١٩٨٥ .

- ❖ فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) ، موافقة الترقيم وبتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، اعتنى به : أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ❖ الكتاب : لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) ت (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٤ ، مصر ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ❖ كتاب حروف المعاني : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت (٣٤٠هـ) تحقيق : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار الأمل ، إربد - ١٩٨٤ .
- ❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ ، مطبعة مصطفى محمد - ١٣٤٥ .
- ❖ الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري : الكرمانلي ت (٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ، و ط٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، بيروت - لبنان .
- ❖ لسان العرب : للإمام العلامة ابن منظور ت (٧١١هـ) ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة .

- ❖ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت (٥٤٤ هـ) ، قدم له : إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ❖ مغني اللبيب عن كتب الأعراب : لابن هشام الأنصاري ت (٧٦١ هـ) تحقيق : حسن حمد والدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ❖ المقتضب : صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت (٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة الأستاذ بجامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .